وذكر الله تعالى الذكر في طرفي النهار في مواضع كثيرة من كتابه كقوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة
وأصيلا وقال واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار وفي قصة زكريا عليه السلام وقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
وقال فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا وقال وسبح بالعشي والإبكار فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان
وهما أول النهار وآخره يجتمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب وعمل هو تطوع فأما العمل الواجب فهو صلاة
الصبح وصلاة العصر وهما أفضل الصلوات الخمس وهما البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة وقد
قيل في كل منهما إنها الصلاة الوسطى وأما العمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر
حتى تغرب الشمس وقد ورد في فضله نصوص كثيرة وكذلك وردت النصوص الكثيرة في أذكار الصباح والمساء وفضل
من ذكر الله حين يصبح وحين يمسي وقد روي من حديث ابن عمر مرفوعا ابن آدم اذكرني ساعة أول النهار وساعة
من آخره أغفر لك ما بين ذلك إلا الكبائر أو تتوب منها وكان السلف لآخر النهار أشد تعظيما من أوله قال ابن
المبارك بلغنا أنه من ختم نهاره بذكر كتب نهاره كله ذكرا قال أبو الجلد بلغنا أن الله تعالى كل مساء
إلى السماء الدنيا ينظر إلى أعمال بني آدم ورأى بعض السلف أبا جعفر القارئ في المنام فقال له قل لأبي حازم يعني الأعرج
الزاهد الكيس الكيس فإن الله وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات والظاهر أن أبا حازم كان يقص على الناس
آخر النهار وقد جاء في حديث أن الذكر بعد الصباح من أربع رقاب وبعد العصر أحب من ثمان رقاب وأيضا
فيوم الجمعة آخره أفضل من أوله لما يرجى في آخره من ساعة الإجابة ويوم عرفة آخره أفضل من أوله لأنه وقت الوقوف
وكذلك آخر الليل أفضل من أوله كذلك قاله السلف واستدلوا بحديث النزول الإلهي وهذا كله مما يرجح به قول من قال
إن صلاة العصر هي الوسطى وأما الوقت الثالث فهو الدلجة والإدلاج سير آخر الليل والمراد به هاهنا العمل
في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما قال تعالى والمستغفرين بالأسحار وقال وبالأسحار هم يستغفرون وهو آخر أوقات النزول
الإلهي المتضمن لاستعراض حوائج السائلين واستغفار المذنبين وتوبة التائبين وسط الليل للمحبين
للخلوة بحبيبهم وآخر الليل للمذنبين يستغفرون من ذنوبهم من عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار
فلا أقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار ورد في بعض الآثار أن العرش يهتز من السحر قال طاوس ما كنت أظن
أن أحدا ينام في السحر وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل سير الدلجة آخر
الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة ولهذا في الحديث الذي خرجه مسلم إذا سافرتم فعليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى
بالليل كاجات اصبر على مضض الإدلاج في السحر وفي الرواح على الطاعات في البكر

٧

١١

لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها فالهم يتلف بين اليأس والضجر إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يطالبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر وقد روي أن الأشتر دخل على علي رضي الله عنه
بعد هدأة من الليل وهو قائم يصلي فقال له يا أمير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك فلما فرغ من
صلاته أنشد هذه الأبيات سفر الآخرة طويل فيحتاج إلى قطعه بسير الليل وهو الإدلاج كانت امرأة حبيب أبي محمد توقظه
بالليل وتقول له الطريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت بين أيدينا ونحن قد بقينا
يا نائما بالليل ~~وأوقاته وردا إذا ما هجع الرقد~~ يا نائما بالليل كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد وخذ من الليل وأوقاته وردا
إذا ما هجع الرقد من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل ويجهد قوله صلى الله عليه وسلم والقصد القصد تبلغوا حث
على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير ولذلك كرره مرة بعد مرة وفي مسند البزار من حديث حذيفة
مرفوعا ما أحسن القصد في الفقر وما أحسن القصد في الغنى وما أحسن القصد في العبادة وكان مطرف بن عبد الله
بن الشخير إن قد اجتهد في العبادة فقال له ابنه خير الأمور أوساطها الحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قال
أبو عبيد يعني أن الغلو في العبادة سيئة والتقصير سيئة والاقتصاد بينهما حسنة قال والحقحقة أن يلح في شدة
السير حتى تقوم عليه راحلته وتعطب فيبقى منقطعا به انتهى ويشهد لهذا المعنى الحديث المروي عن عبد الله بن عمرو
مرفوعا أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا سفرا قطع ولا
ظهرا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن أنه لن يموت إلا هرما واحذر حذر امرئ يخشى أنه يموت غدا خرجه حميد بن زنجويه
وغيره وفي تكريره الأمر بالقصد إشارة إلى المداومة عليه فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السآمة والانقطاع والقصد
أقرب إلى الدوام ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ كما قال من أدلج بلغ المنزل فالمؤمن في الدنيا يسير إلى ربه حتى يبلغ
إليه كما قال تعالى يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الحسن
يا قوم المداومة المداومة فإن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت ثم تلا هذه الآية وقال أيضا
نفوسكم مطاياكم فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم عز وجل والمراد بإصلاح المطايا الرفق بها وتعاهدها
بما يصلحها من قوتها والرفق بها في سيرها فإذا أحست منها بتوقف في السير تعاهدها تارة بالتشويق وتارة
بالتخويف حتى تسير قال بعض السلف الرجاء قائد والخوف سائق والنفس بينهما كالدابة الحرون فمتى فتر قائدها
وقصر سائقها وقفت فتحتاج إلى الرفق بها والحدو لها حتى يطيب لها السير كما قال حادي الإبل بالوادي
بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا ولما كان الخوف كالسوط فمتى ألح بالضرب بالسوط على الدابة تلفت
فلا بد لها مع الضرب من حادي الرجاء يطيب لها السير بحدائه حتى يقطع قال أبو يزيد ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)